عن تهوين قتل المخالِف!

عبدالله السالمي
Assalmi2007@hotmail.com

لا يحتاج أحدُنا إلى كبير عناء لكي يُدرك أنّ الأوساط الدينية والاجتماعية تغصّ بفقهاء وخطباء وعلماء دين وناشطين وكتّاب لا يدينون القتل في حدّ ذاته (سواء وقعَ على مسلم أو غير مسلم، يمنيّ أو غير يمنيّ، سَلفيّ أو حوثي..) وإنما يدينون القتل المُمَارَس من فريق يعادونه في فريق يوالونه.

على ألسنة هؤلاء، الذين لا يستنكرون القتل من حيث هو إزهاق لحياة إنسان مَنحَه الله إياها وإليه وحده أمْر اسْترجاعها، كثيراً ما نسمع عبارات شجب وإدانة لحوادث قتل، لكنّ عبارات الشجب والإدانة هذه تستبطن الرضا والقبول بحوادث قتل أخرى.

خذوا، مثلاً، مَن يُعلّق على الأعمال الإرهابية التي يتبناها تنظيم القاعدة بالقول مستنكِراً: "إنّ التنظيم لم يعد يستهدف المصالح الأجنبية وإنما بات يقتل عسكريين ومواطنين يمنيين مسلمين"! ألا يعني مثل هذا التعليق أنّ صاحبَه لا يُمانع أن تستهدف القاعدة، بالتفجير والقتل، أجانبَ غير مسلمين؟!

وخذوا، على سبيل المثال أيضاً، مَن يقول باستنكار: "إنّ الحوثيين يصرخون ليلَ نهار بالموت لأمريكا، لكنهم لم يقتلوا أمريكياً واحداً، وإنما قتلوا إخواناً لهم في الدين والوطن"! ألا يعني مثل هذا التعليق أنّ قائلَه لا يُمانع أنْ يقتلَ الحوثيون رعايا أمريكيين في اليمن، وأنه سيعدّها فضيلة لهم لو قاموا بذلك؟!

هذان نموذجان لفظيان على مواقف عقائدية وأيديولوجية وسياسية تجاهر بإدانتها لأحداث قَتل من نوع ما، ولا تخفي قَبولها، في نفس الوقت، بحوادث قتل من نوع آخَر، حتى وإنْ كان القاتل واحداً في الحالتين.

إنّ إدانة القتل ما لم تكن استنكاراً ورفضاً له بوصفه اعتداء على الحياة، الممنوحة لجميع البشر كحقّ أساسي تبتني عليه بقيّة الحقوق، فليست إدانة صادرة بدافع أخلاقي يفزع لمقتل الإنسان مَّن حيث هو إنسان، أنّى كان لونه ودينه وانتماؤه، وإنما هي إدانة بدوافع أخرى تتعامل مَع الإنسان كعضو في جماعة أو تنظيم أو جهة دينية أو سياسية..

وإنّ الذين لا يجرّمون القتل إلا حين يستهدف الموافق لهم في الدين أو المذهب شركاء، من حيث دروا أو لم يدروا، في تهوين اَستهداف المخالِف وسلبه حياته.

واهمٌ، إذنْ، مَنْ يُعوّل، في محاربة الإرهاب، على خطاب دينيّ لا يتعدّى سَرْدَ النصوص التي تحرِّم على المسلم قتل المسلم. فهذا الخطاب الذي يَحْصُر عصمة دم المرء في إعلان إسلامه هو ذاته الخطاب الذي لا يؤمن بأنّ إنسانية الإنسان، مُجَرّداً من كل اعتقاد وانتماء، هي التي تعطيه حق الحياة، وتجرّم سفك دمه وإزهاق روحه.

في وداع فقيد الوطن اللواء يحيى محب النبي

عميد ركن متقاعد/
أحمد محمد مشرح

لقد عرفت اللواء الركن المهندس يحيى محمد محب النبي في عام 1973م عند تعيينه رئيسا لعمليات الكتيبة الخامسة مدرع بمحافظة البيضاء وبعدها قائدا للكتيبة وتدرج إلى أن تعين قائدا لمحافظة البيضاء وقائد للكتيبة في نفس الوقت.

لقد عرفناه أبا وأخا وقائدا وكان له أدوار لا تنسى وعلاقات واسعة مع أبناء المحافظة، لما عرفوا عنه من سجايا وقيم وأخلاق فلما تجدها في قائد عسكري.

إن دوره في محافظات البيضاء كان فعالاً ونشيطاً وذا همه عالية، رغم الظروف الصعبة وطبيعة الأرض ووعورتها كونها سلاسل جبلية متواصلة وطرق وعره وحرائق هنا وهناك..وكانت محافظة البيضاء مترامية الأطراف ملتهبة بحكم موقعها الجغرافي بين شمال الوطن وجنوبه، فقد شهدت البيضاء أحداثا تخريبية وتوترا مستمرا وكانت مشاكلها كثيرة ومتعددة.

لقد كان اللواء محب النبي يواجه كل تلك الأحداث بكل حكمة وبصيرة وجدارة لما فيه من الملكات العظيمة، رغم شحه الإمكانيات والعتاد والتسليح وقلة الدعم ونقص التأهيل.

بعد ذلك تعين اللواء المهندس محب النبي في سلاح المدرعات، ثم قاد لسلاح الصيانة، واستطاع أن يبني هذا سلاح الصيانة من الصفر، حيث قام بتوفير الكوادر الفنية وبناء المنشآت والمستودعات الفنية والإدارية، التي كان لها دور كبير في تغذية وإمداد الجيش اليمني بالمركبات وقطع الغيار والصيانة، من خلال إرسال الفرق الفنية الميدانية إلى جميع قطاعات الجيش.

وكذلك أنشأ قاعدة الإصلاح المركزية بهدف تطوير العمل الفني وإصلاح المعدات الثقيلة، حيث كان له الدور الأبرز في ازدهار سلاح الصيانة من خلال جذب الخبرات الفنية المحلية والعربية والأجنبية.

وفي عام 1985م ابتعث في منحة دراسية إلى جمهورية العراق لمدة أربع سنوات ثم عاد إلى الوطن ليكمل ما بدأه، وعند قيام الوحدة المباركة في عام 1990م تعين نائبا لرئيس هيئة الأركان للشؤون الفنية والتسليح ثم ملحقا عسكريا في روسيا.

لقد عانى اللواء الفقيد في آخر حياته من المرض حتى لقي ربه راضيا أيام عيد الأضحى المبارك "يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية فأدخلي في عبادي وأدخلي جنتي" صدق الله العظيم.

تعازينا لأبناء الفقيد وأهله وجميع محبيه وأبناء الشعب اليمني بهذا المصاب الجلل.

رحم الله اللواء المهندس الفقيد يحيى محب النبي وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

هل كانوا يستهدفون الرئيس؟!..

عبدالله دوبلة

> لا أميل عادة لإطلاق الاتهامات في الحوادث الأمنية التي تشهدها البلد. فذلك لا يخدم الحقيقة بأي حال.

لكن أن يكون الرئيس هو المستهدف في العملية الإجرامية التي تعرض لها مجمع وزارة الدفاع الخميس الماضي، فذلك يلقي بالكثير من الأسئلة عن تلك الجهة المستفيدة من إدخال البلد في الفتن والفوضى، في حال قدر لها أن تغتال الرئيس.

بحسب مصادر طبية كان الرئيس على موعد مع أطباء في مستشفى العرضي لإجراء فحوصات طبية متعلقة بالقلب قبل أن يتم تغيير الموعد بدقائق فقط من الحادثة ونقل الأطباء إلى منزل الرئيس بدلا من أن يأتي هو..

ربما هي الصدفة فقط.. وربما هي ليست كذلك على الإطلاق، ربما هناك من كان يعلم بموعد الزيارة وخطط للضربة في ذلك التوقيت، يوجد شيء مؤكد.

أيّاً كان الأمر، فالشعب معني بمعرفة حقيقة ما حدث بالضبط، تضارب التصريحات الحكومية والرئاسية من أكثر من مسؤول وأكثر من مستشار لا تخدم الحقيقة ولا تخدم حتى تجنيب البلد حوادث مشابهة.

الـ52 شهيداً يستحقون أيضاً أن نعرف لأجلهم تلك الأيادي الآثمة التي طالت أرواحهم البريئة، ليس من نفذ فقط ومن خطط كذلك.

يستحق أولئك المجرمون أن يعاقبوا قبل أن يذهبوا إلى لعنات التاريخ.

يستحق هذا الوطن أن يعرف، كما يستحق أن ينعم بالأمن والأمان أيضاً.

عن مدينة جميلة؛ عن تشيبوكساري.. عن صاحبة البوفية الرائعة أحدثكم

إنهم أعداء الحياة!

د. عبدالرحمن عبدالخالق

> قدِّر لي أن أزور في خريف 2011م وتحديداً في 26 أكتوبر، مدينة تشيبوكساري، عاصمة جمهورية تشوفاشيا ذات الحكم الذاتي، وهي إحدى جمهوريات الإتحاد الروسي. لن أقول إنه سبق لي زيارتها، ولن أخجل إن قلت أنني لم اسمع بها من قبل، بل وجدت نفسي أنطق اسمها بصعوبة، وقد يكون ذلك حتى اللحظة.

(كان عليَّ انتظار سيارة فورد حمراء في الساعة التاسعة صباحا في محطة اسمها (الانتفاضة)، هذا ما قاله لي مشرفي العلمي، فاسيل زاجوتفيتش جرافولين. وصلت المكان المحدد في الثامنة صباحا، أي قبل الموعد بساعة، جو خريفي شديد البرودة، الحركة في الشارع محدودة. الملل هجم علي وكذا البرد، وما كان أمامي إلا الحركة أقاوم به الملل من جهة والبرد.. تجولت في مُحيط المكان المحدد لي موعدا، مررت على أكثر من محل تجاري، لا طلب لي غير قتل الوقت المميض، ووقاية نفسي من لسعات البرد القارسة.. قضيت وقتاً في ممر أرضي. عند التاسعة إلا خمس دقائق صعدت إلى الشارع.. انشغلت بجهازي النقال.. رفعت رأسي على صوت يناديني.. كان ذلك صوت البروفيسور ألينا سرجييفنا، رئيسة كرسي النظرية والممارسة في وسائل الإعلام الإليكترونية في كلية الصحافة وعلم الاجتماع، توجهت فرحاً إلى السيارة.. كان في السيارة أيضاً مرشدة خاناييفنا، المرشحة للعلوم اللغوية، مساعدة في كرسي النظرية والممارسة في وسائل الإعلام الإليكترونية.. كنّا والسائق رفقاء الرحلة.. رفقة جميلة هذا ما يمكنني قوله.

> جمهورية تشوفاشيا.. تقع في قلب الجزء الأوربي من روسيا، على ضفاف نهر الفولغا. والتشوفاش هم أحد الشعوب التركية، فأسلافهم ينحدرون من مملكة بلغار الفولغا. ويتحدث السكان اللغة التشوفاشية، وهي لغة قريبة من اللغة التركية والروسية، وتعود في الأصل إلى جذور اللغة السليفيانية.

هذا ما عرفته من رفقاء الرحلة فقط عن التشوفاش...

كانت رحلتنا لغرض المشاركة في المؤتمر العلمي - التطبيقي لعموم روسيا (بمشاركة دولية)، تحت عنوان (الفضاء الإعلامي الإقليمي - التاريخ، المعاصرة والقضايا الملحّة 26-28 أكتوبر 2011م).

كانت تمام الحادية عشر والنصف صباحاً، حين وصلنا المدينة؛ مدينة تشيبوكساري.. استقبلتنا تشيبوكساري كما تستقبل المدن المحترمة زوارها بابتسامة وضاءة ورضا. مدينة من مدن الأطراف، غير منبسطة، تعجبني كثيرا هذا النوع من المدن، نظيفة للغاية، مبانيها متناسقة وجميلة. التحمت مجموعتنا مع مجموعة أخرى قدمت من الكلية نفسها، كلية الصحافة وعلم الاجتماع في جامعة كازان الفيدرالية.

توجهت مباشرة إلى بوفية كلية الإدارة (مكان المؤتمر).. التابع لجامعة تشوفشسكي الحكومية للتربية جامعة تشيبوكساري.. وهي بوفية صغيرة.. كنت الوحيد. استقبلتني صاحبة البوفية الستينية بابتسامة، وقبل أن أحييها.. وقالت السلام أيها العربي.. ابتسمت بدوري السلام.. السلام.. وقالت باللغة الروسية: ماذا يريد ضيفنا العربي.. قدمت لي ما طلبت.. وسألتها ما أدراك أنني عربي. ردت لي ابنة بنتي متزوجة على شاب فلسطيني يعمل مهندساً في الإمارات.. وسحنتكم واحدة.. وأردفت: هل أنت من الإمارات.. أجبتها بأنني من اليمن.. فقالت: وأين تقع اليمن.. في العربية السعودية؟.. أجبتها: العربية والسعودية دولتان متجاورتان.. التفتت يمنة ويسرى وقالت لي بصوت خافت.. أنا خائفة على ابنة بنتي وزوجها من القاعدة.. إنهم قتلة.. ابتسمت وقلت لها لا تخشي شيئا فالقاعدة بعيدة عن الإمارات. فرحت وقالت لي: القتل والإرهاب أعمال بشعة جداً.. لا شيء يبرر القتل؛ قتل الإنسان للإنسان.. وأردفت: أنا مسيحية وأعرف أنك مسلم.. اسم محمد.. أليس كذلك؟.. قلت لها: اسمي عبد الرحمن.. قالت لي: يا عبد الرحمن.. لا أنوي قتلك ولا تنوي قتلي لمجرد أننا من ديانتين مختلفتين.. أليس كذلك؟.. قلت لها: ليس هذه بالأمور التي تبرر قتل الإنسان للإنسان.. نحن بشر في هذا الكون الواسع.

قالت وعيناها تنظران إلى البعيد: إنهم أعداء الحياة!

التفتت إليّ بعينين وضاءتين.. مبتسمة.. وقالت: هل تعرفت على شعر الشاعر الشعبي الشوبشكاري بيدر خوزانجي؟.. قلت لها: لم أسمع به قط!

قالت: إذاً اسمع!

> بدأت تتلو صاحبة البوفية - المرأة المدهشة - بصوت عذب بعضاً من شعر شاعرها المفضل؛ شاعر شوبشكاريا بيدر خوزانجي.

> أعجبني كثيراً إيقاع الشعر ومعانيه.. هل من الممكن أن أحصل على هذين المقطعين مكتوبين. عادت بعد هنيهة.. مدت إليّ بورقة أنيقة مذهبة.. مع دخول رفقاء الرحلة من أساتذتي في الكلية.. ومباشرة قال أحدهم وهو يضحك بصوت عال: كشفتكم.. هاا!.. لحقتكم تتبادلون الرسائل الغرامية.

ضحكت.. ضحكوا.. ضحكت.. ضحكنا جميعنا.. لم يكن بيننا من لا يمتلك رغبة في الضحك!

> الضحك والفرح لا يلتقيان مع البكاء والحزن!.. الضحك يقف على الضفة الأخرى من العداوة والبغضاء وكره الحياة.. يقف على الضد من قتل الإنسان للإنسان.. من الخراب.. من الدمار. لا أظن القتلة يضحكون.. لا أظنهم يمرحون.. لا أظنهم يرقصون.. رقصتهم الهستيرية، هي رقصة الدم.. الرقص على أشلاء الضحايا.

مقطعان من شعر الشاعر الشعبي الشوبشكاري: بيدر خوزانجي

(شوبشكار.. لا أسمع بها رنيناً ولا شقشقة كما لو أن شخصاً عزيزاً يهمس لي سراً "شوباش - كار..." وليس ضرورياً أن يكون هناك ضجيجاً لنفهم بعضنا بعضاً ونحب شوبشكار! تشابوكساري!)

أتعرفون - أنتم - شعب كهذا لديه مئة ألف أغنية وستة آلاف مطرِّزة تلمع؟

تعالوا إلينا - وأنا مستعدٌ لإثبات هذا كله معكم!).

ترجمة: عبد الرحمن عبد الخالق

> في أثناء استقبال امبراطور ألمانيا غليوم الثاني عام 1898م في دمشق، لاحظت الإمبراطورة حمارًا أبيض، فاستلفت نظرها وطلبت إلى الوالي أن يأتيها به، لكي تأخذه معها للذكرى، فراح الوالي يبحث عن صاحبه. فعلم أنه يخص ابي الخير آغا. وكان الآغا من وجوه بلدته، ويفاخر دائمًا بأن له حبيبين: الحمار وحفيده حسني!. استدعى الوالي ابي الخير، وطلب إليه إهداء الحمار إلى الإمبراطورة، فاعتذر. فعرض عليه شراءه منه، فأصر على الرفض، ولما اشتد الوالي في الإلحاح، أجابه أبو الخير: يا أفندينا، إن لدي ستة رؤوس من الخيل الجياد، إن شئت قدمتها كلها للإمبراطورة هدية مني، أما الحمار فلا!. استغرب الوالي هذا الجواب، وسأله: لماذا؟ قال: سيدي إذا أخذوا الحمار إلى بلادهم ستكتب جرايد الدنيا عنه، ويصبح الحمار الشامي موضع نكتة وربما السخرية، فيقول الناس، إن إمبراطورة ألمانيا لم تجد في دمشق ما يعجبها غير الحمار، ولذلك لن أقدمه إليها، ولن أبيعه!. ونقل الوالي الخبر إلى الإمبراطور وزوجته، فضحكا كثيرًا، وأعجبا بالجواب، وأصدر الإمبراطور أمره بمنح أبي الخير وسامًا، فسمّاه (وسام الحمار).

مذكرات البارودي

عندما كنت في السجن زارتني أمي وهي تحمل الفواكه والقهوة. ولا أنسى حزنها عندما صادر السجان إبريق القهوة وسكبه على الأرض، ولا أنسى دموعها. لذلك كتبت لها اعترافا شخصيا في زنزانتي، على علبة سجائر، أقول فيه: أحنُّ إلى خبز أمي.. وقهوة أمي.. ولمسة أمي.. وتكبر في الطفولة.. يوما على صدر أمي.. وأعشق عمري لأني.. إذا مت.. أخجل من دمع أمي. وكنت أظن أن هذا اعتذار شخصي من طفل إلى أمه، ولم أعرف أن هذا الكلام سيتحول إلى أغنية يغنيها ملايين الأطفال العرب.

محمود درويش

الإرهاب لا دين له

محمد السهماني
mohsahman@gmail.com

فاجعة أخرى تشهدها إلمن تزيد نزيف الجرح الدامي، تلك هي جريمة الهجوم الانتحاري على مستشفى العرضي بمجمع الدفاع المصحوب هذه المرة بالهجوم المسلح على الجنود والأطباء والعاملين صورة مقززة ومشهد مروع أثبت بلا شك انسلاخ مرتكبي هذه الجريمة من أبسط قيم الإنسانية والآدمية، فضلاً عن تجرد هذه العملية من كل معاني الرحمة والرأفة ناهيك عن الانحلال الأخلاقي الذي أحدثته هذه الجريمة في حق الوطن، لنجزم أن الإرهابيين الذين ارتكبوا هذه الجريمة، غير جديرين بالانتماء لهذه الأمة. أن الإرهاب لا يعيش إلا في مستنقعات الدم وكهوف الظلام فلا عجب أن يختار الإرهابيون هذا المصير لأنفسهم لأن عقولهم تأبى أن تستأنس بكل جميل وترفض أن تتعايش مع الآدمية المتحضرة في ظل الانسلاخ الروحي والفكري من القيم والمبادئ التي يطمح الإرهاب إلى تعميمها على المجتمع.

الإرهاب لا دين له عبارة أجزم بها هنا لا لأن فاجعتي على وطني أحرقت الفؤاد ولا لأني أختلف مع فكر منفذي التفجير نظرياً وسلوكياً وأمج اعتقادهم المنحرف إلى الحد الذي لم ولن تشهد الإنسانية لهذا الانحراف السلوكي مثيلاً له عبر التاريخ فاق جرائم الصهيونية في حق الفلسطينيين جرماً وتنكيلا. ولكني أجزم كامل الجزم أن هذه الفئة المجرمة لا دين لها ولا تربطها أي علاقة بأقل قيمة اعتبارية إسلامية ولا يمكن لأي عاقل يقف على الفكر الإرهابي .. ويلمس شناعة وقذاعة ما يجسده هذا الفكر سلوكياً سيقف معي بالقناعة الكاملة أن هذه الفئة من الجرم أن نتعامل معها من منطلق ديني ولا حتى أخوي أو وطني لسبب بسيط لا يحتاج إلى إعادة نظر ولا اجتهاد ولا إلى مراجعة في إصدار الأحكام، ذلك أن هذه الفئة تجاوزت كل الحدود فلا المفهوم ولا المنطوق ولا المعقول ولا الواجب ولا المسنون ولا المحمود تركت لنا هذه الفئة مجالا لنتحدث عنها أو حتي نأمل في مراجعتها من خلاله في ضوء أصول الشرع التي ذكرتها مسبقاً هذه الظاهرة السرطانية الخبيثة التي جعلت المنتمين إليها لا يبالون بنهايتهم وهم يقدمون أنفسهم قرباناً للشيطان. وإلا ماذا نقول عندما نرى المشاهد المفزعة لمصارع الإرهابيين ونحن نرى تفحم أجسادهم وتبعثر أطرافهم بتلك الصور البشعة التي تمجها الإنسانية والتي ينهى الإسلام صاحبها عن العبث بهذه النفس وإيصالها إلى هذه الحالة التي تتقزز منها الطبيعة البشرية ويقشعر منها البدن السليم المعافى فهل سيلومنا أحدٌ عندما نعتبر أصحاب هذا الفكر لا دين لهم ممن رأينا أجسادهم مقرونة بأفعالهم في مواطن عديدة لتشهد على مدى بؤسهم وشقاوتهم وبعدهم كل البعد عن قيمة الانتماء لهذا الدين الذي بلغت روعة معانيه ومنتهى رأفته إلى تأكيد أهمية تكريس الرحمة في حق الحيوان فضلاً عن بني الإنسان، وهؤلاء يخترقون ولا يبدعون في إزهاق النفس الإنسانية بكل الطرق والوسائل والتقليعات التي لا تخطر على بال بشر.

في معرض الوضع القاتم أستذكر دائما دور الدولة بجهازها الأمني والعسكري الذي يقوم على عاتقه مهمة صيانة الوطن وحماية الناس لا عذر لهم في التراخي عن رصد التحركات لأفراد؟ أسئلة كثيرة تزيد من وطأه الحيرة والاستغراب حول الاختراق وأين تكمن الثغرة؟ لكنني مع هذه السلبية الكبيرة لا أتجاهل مطلقا نقطة إيجابية مهمة متعلقة بنفس الحدث ومرتبطة بعملية اقتحام وزارة الدفاع بالأمس تمثلت في موقف رئيس الجمهورية الذي حرص على تفقد المكان مباشره أثناء الاشتباكات فقد توفق فخامة الرئيس في زيارته لمكان الحادث رسالة واضحة من فخامته للإرهاب وأربابه وأتباعه ومناصريه أن اليمن عزيزة لن تطالها أيادي الإرهاب لفخامة الأخ الرئيس هذا الموقف الشجاع الذي شجعنا إلى حد الاطمئنان أن بلدنا بإذن الله محفوظة ومصانة مهما حاولوا كسر شوكتها طالما ورئيس الدولة يخرج على العالم في مثل هذا الوقت الحرج ليطمئن الجميع أننا شعب لا يقهر فقد نمرض لكننا لا نموت وإذا متنا فوطننا حيٌّ تصونه أجيالنا.

وفي الأخير بجانب تقديرنا لموقف فخامته فإننا نأمل من كشف الملابسات والحرص فضح المخططات ومعاقبة المرتكبين ومساءلة المتساهلين الذين قد يكون البعض منهم متورطين وإحاطة الرأي العام بها .

مقاربة في معالجة الملف الأمني

مأرب الورد
mohsahman@gmail.com

> تعيش البلاد أوضاعاً أمنية متدهورة بشكل مستمر بمختلف المحافظات بما فيها تلك التي كانت توصف بالهادئة كتعز وإب، لكن أخطر مظاهر هذا الانفلات الأمني يكمن في مسلسل الاغتيالات المتكررة سواءً للمدنيين أو العسكريين باستخدام الدراجة النارية التي يلوذ منفذوها بالفرار ثم تُقيّد الحوادث ضد مجهولين.

وأصبحت كثيراً من المدن موبوءة أكثر من أي وقت مضى بانتشار المظاهر المسلحة في الشوارع وتزايدت ظاهرة التقطعات القبلية على الطرقات الرئيسية بين المحافظات وتفاقمت مشكلة الاختطافات بقوة وبات أي شخص عادي أو مسؤول عرضة للاختطاف، بل ووصل الأمر إلى اختطاف صحفيين في سابقة لم تحدث من قبل، فضلا عن الأجانب.

وفي ظل هذه الأجواء اعتاد الناس سماع أخبار الاغتيالات والقتل بشكل يكاد يكون أسبوعياً الأمر الذي يرفع منسوب الغضب والتنديد الكلامي من قبل الجهات الرسمية والشعبية إزاء استهداف مسؤول أو اغتيال سياسي ثم سرعان ما ينتهي إلى طي النسيان حتى يأتي حادث آخر وهكذا نظل في متوالية هندسية لا نهاية لها.

واللافت أن ثمة علاقة بين توتر المشهد السياسي وتدهور الوضع الأمني، وكلما عاد الاختلاف وارتفع صوت تبادل الاتهامات كلما انعكس ذلك على الواقع، بحيث يمهد هذا الجو للمتربصين باقتناص الفرص لتنفيذ مخططاتهم في زعزعة الأمن والاستقرار باعتباره مقياس شعور الناس بحدوث التغيير من عدمه، وما الاعتداءات على خطوط الكهرباء وأنابيب النفط إلا تجليات واضحة للأهداف التي يريد أصحابها تحقيقها ليسّوقوا مواقفهم في الإعلام وهي تتماشى مع ما يحصل على الأرض.

وتتفق الحكومة على سوء هذا الواقع، ويرسم تقرير صادر عنها مؤخرا صورة قاتمة للمشهد العام وخاصة ملف الأمن والاستقرار والذي أظهر عجز الحكومة في فرض سيادة القانون وبسط الاستقرار والحد من الأعمال الإرهابية المختلفة.

التقرير لخص جملة الصعوبات في المظاهر المتعددة الهادفة لنشر الانفلات الأمني في كافة المحافظات واستمرار المظاهر المسلحة في الطرقات العامة والمدن الرئيسية لعدد من النافذين والمسؤولين وشيوخ القبائل، واستمرار تهريب السلاح إلى الداخل، إضافة إلى الممارسات المتفرقة من قبل بعض القوى السياسية بالاحتكاك بالمؤسسات الأمنية أو فيما بينها أو عدد من الجماعات القبلية وتحولها إلى مواجهات مسلحة في بعض حالاتها ما انعكس على زعزعة الاستقرار وإقلاق الأمن والسكينة العامة.

ويعترف التقرير الخاص بمستوى تنفيذ خطة الأداء الحكومي خلال الفترة (يناير - يونيو 2013م) بعجز الحكومة في الحد من الجريمة وتمثل ذلك في استمرار الاعتداءات على الكهرباء وأنابيب النفط والغاز (116 اعتداءً) رغم تنفيذ العديد من عمليات الأمن الوقائي.

وفي لغة الأرقام يكشف التقرير عن مقتل 130 من أفراد الجيش والأمن في عمليات للقاعدة، وسجلت معدلات الجريمة ارتفاعاً بنسبة 30% مقارنة بالفترة ذاتها من العام الماضي، لكن في المقابل هناك انجازات وإن كانت لا تذكر في بحر الاخفاقات ومن هذه الانجازات - وفق التقرير - قتل 40 من أعضاء القاعدة وضبط 880 ألف قطعة سلاح مختلفة وتم إغلاق 16 محلاً من أصل 131 محلاً.

ما يمكن أن نستخلصه من هذا التقرير هو أن هناك فشلاً أمنياً في مختلف الجوانب وأن الحكومة أخفقت في تحقيق أهم مطلب لليمنيين وهو الأمن والاستقرار وإشاعة الطمأنينة والسكينة في ربوع البلاد والتي أصبحت مطلباً عاجلاً في كثير من المدن.

ندرك حجم التحديات أمام الحكومة والتركة الثقيلة التي ورثتها من النظام السابق والتي تحتاج لوقت للإصلاح والتغيير بدءاً من إجراء هيكلة في أجهزة الداخلية وإحداث تغيير شامل في القيادات الأمنية وتغيير فلسفة وفكر رجال الأمن، لكن هذا لا يعني أن تقف الحكومة عاجزة مكتوفة الأيدي إزاء استمرار التدهور الأمني دون أن تحرك ساكناً أو تضع حدا لهذا العبث بالنسيج الاجتماعي.

ما الذي يحول دون الإسراع في استكمال هيكلة الداخلية ولماذا لم يجر تغيير مدراء أمن بعض المحافظات ومدراء المديريات وأقسام الشرطة لاسيما الذين ثبت فشلهم وعجزهم وفسادهم واستبدالهم بآخرين أكثر كفاءة ومهنية واحترافية ضمن حزمة إجراءات لمعالجة الملف الأمني والذي لابد أن يبدأ من تغيير القيادات وإعادة تعريف قوات الأمن بوظيفتها بعد التغيير الذي تشهده البلاد.

في قضية الاغتيالات المتكررة كثيراً ما نسمع عن تشكيل لجان للتحقيق لكننا لا نعرف مصيرها ولا تُعلن نتائجها ولم نعثر لأي منها على جواب وهذا ما يغري الخارجين عن القانون للاستمرار في نهجهم التخريبي في ظل شعورهم بأن هوياتهم ستظل غير معلومة ولن يعرفهم أحد، وبالتالي لابد من الكشف عن نتائج التحقيقات السابقة حتى يعرف الرأي العام أعداء مصالحه كي يقدموا للقضاء ليقول كلمته إنصافاً للضحايا وإحقاقاً للحق والعدل.

لا يعقل أن يقتصر دور الحكومة في إعلان أسماء المتهمين بالاعتداء على خطوط الكهرباء أو أنابيب النفط والغاز وكأنها وسيلة إعلام دون أن تقبض على هؤلاء المتهمين وتحيلهم للعدالة حتى يكونوا عبرة لغيرهم وتأسيسا لدولة المؤسسات التي ننشدها في المستقبل.

المشكلة إن الإجراءات السابقة التي اتخذت بشأن تحقيق الأمن والاستقرار كانت مؤقتة وموسمية وردة فعل وليست منتظمة أو ذات أهداف واضحة ومحددة وخير دليل على ذلك حملات القضاء على المظاهر المسلحة ومنع حمل السلاح في المدن وضبط الدراجات النارية والسيارات المخالفة لقواعد المرور والتي كانت تبدأ لفترة معينة ثم تنتهي سريعاً بنتائج لا تتناسب والموازنة المخصصة لتلك الحملات.

يجب أن لا يخضع ملف الأمن للمزايدة السياسية وتسجيل الأهداف في مرمى الخصوم حتى لا يتحول الأمر إلى أشبه بالمهاترات الإعلامية على حساب حياة الناس واستقرار البلاد، وتصبح كل حادثة اغتيال فرصة لهذا الطرف للنيل من الآخر لتحقيق مكسب سياسي بدلا من معرفة الحقيقة ومعاقبة الجناة.

تحقيق الأمن والاستقرار يحتاج تعاونا وتكاملا بين الجانب الرسمي والجانب الشعبي والمدني للتأسيس لعلاقة شراكة جديدة تقوم على تحديد وظائف قوات الأمن والشرطة من جهة وحقوق المواطنين من جهة اخرى حتى نخلق ثقة يبدو أنها مفقودة تتسم بالشفافية والصراحة وأن لا يظل الأمن ينظر إلى المواطنين بصفتهم مشروع خطر محتمل لمجرد أن فئة أو عدد منهم تظاهروا لمطلب معين على أن تتغير نظرة المواطن لرجل الأمن لدرجة كونه مسؤولاً عن حماية حياته وممتلكاته وليس بصفته أداة بطش وعنف.

الشراكة يجب أن تشمل وسائل الإعلام والشخصيات المؤثرة في المجتمع لتساهم في التوعية بثقافة جديدة مختلفة لمفهوم الامن بما يجعل المواطن العادي مبلغاً حال وقوع الحادثة مثلما يجب أن يكون رجل الأمن قدوة ومثالاً في أداء عمله على ما سواها من اعتبارات أخرى.

ملف الأمن لابد أن يتصدر أولويات الحكومة في الفترة القادمة على اعتبار أن معالجته يفتح الباب واسعاً للحديث عن الاستقرار والاستثمار وتحسين موارد الخزينة من عائدات تصدير النفط وهذا لن يتم إلا إذا تعاملت الحكومة بحزم مع المخربين.